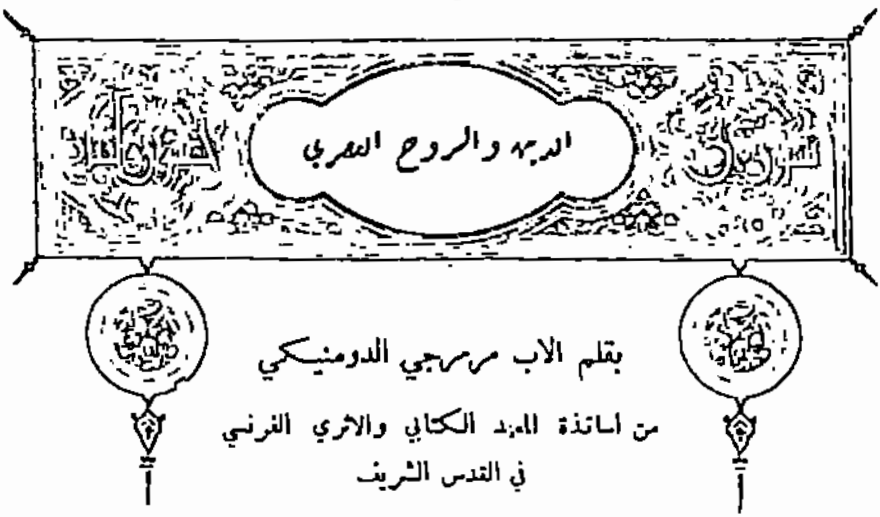

الدين والروح العصري

بقلم الاب مرمرجي الدومنيكي

من اساتذة المعهد الكتابي والاثري الفرنسي
في القدس الشريف

من شتى الوجوه ، حياة الجماعة كحياة الفرد ؛ لِما هو معهود من ان الجماعة ليست سوى مجموع افراد . فغالبُ ما اختصَّ بـه عضو من اعضاء الجماعة ، اختصّ به المجموع كلّه ، وكما ان الفرد يتأثّر بما يحيط به من الاحوال ، فالجماعة ايضاً تفعل فيها المؤثرات التي تكتنفها ؛ ممّا ينشأ عنه في الافراد والجماعة ، مزيّة خاصّة يمتاز بها الفرد عن اقرانه ، وتتفرّد بها الجماعة عن غيرها من الجماعات . ومن جملة هذه التأثيرات في الآحاد ، والجماعات ، تأثيرات الزمان الصادرة عن تطوّرات العصور المتعاقبة ، التي تسم اهلها بسمة فريدة . وبقوة هذه المفاعيل ، يتولّد في الافراد ، ومن ثمّ في المجتمعات ، عقليّة فارقة ، ترجع الى ذاك العصر ، دون غيره . وهذه العقلية هي ما ندعوه «روح العصر ، او الروح العصري».

فاذا كان ذلك كذلك ، فما هو روح عصرنا ؟

قلنا ان الروح العصري صادر عن التطوّرات الحاصلة على كرور الايام . فبدون الاستفاضة في المقدمات ، نقول قولاً سنده الاختبار ، وهو ان روح عصرنا وليد تقدّم الانسان في عالم المحسوسات ؛ ذاك التقدم الآتي من توسّع نطاق معارفه في العلوم الوضعيّة ، وقبضه على ناصية الامور في الصناعة المادّية . ممّا كانت مغبّته ابهار العيون ، واذهال العقول ، والأخذ بمجامع الالباب . فما كان من البشر الّا ان مالوا الى السعي وراء الرغد في العيش ، والإخلاد الى الرفاه في الحياة . هذا ما بلغ اليه القوم في الأصقاع الغربية ؛ فكان منهُ في

مجتمعهم مـا كان . امّا نحن اهل الديار الشرقيّة ، فقد زاد اتصالنـا بالامم الاجنبيّة الراقية هذا الرقيّ المادي ، انتعشت منّا النفوس ، بعد خمودها ، وتولّدت في القلوب رغبةُ السير في هذا السبيل ، أسوةً بتلك الاقوام . فاخذ يتشرّب افرادنا وجماعاتنا هذا الروح العصري ، الروح المادي.

على ان الحكيم لا يسلم بصحة أمر ، الّا بعد ان يسبر غوره بمبر المبادئ الخالدة. واذ كان مسيرنا مسير كل عاقل فطين ، اي مسير الدين ، تحتّم علينا ان نضع هذا الروح العصري تحت محكّ الدين العزيز ، لنرى ايّ حكم يُبرز فيـه . واذ كان الدين دينين : ديناً فطرياً يُضيء علينـا نوره باشعة العقل البشري ؛ وديناً فائق الطبيعة ، أنزله الله على يد ملائكته وانبيائه ، واكمله بابنه الوحيد ، ونشره بواسطة كنيسته المقدسة ، كان من الملائم ان نجعل محور هذا البحث يدور اولا : على الروح العصري في حكم الـدين الفطري ، او العقل المستقيم. ثانياً : على الروح العصري في حكم الدين المنزل ، وهو الدين المسيحي القويم.

١

الروح العصري

في حكم الدين الفطري ، اي العقل المستقيم

ممّا لا مشاحّة فيه هو أن عصرنا عصر رقي ؛ لانه قد سار ولا يزال سائرًا ، على ناموس البشرية ، بل على ناموس الكون العام ، وهو ناموس الارتقاء من كمال الى كمال . الّا ان كمال عصرنا عابرٌ في سبيل كل محسوس ، وجاثلٌ في عالم الماديّات ؛ ممّا نشأ عنهُ عمرانٌ مادي ، ومن ثمّ روحٌ عصري مادي . فما قدر هذا التقدّم ، وهذا الروح العصري في نظر الدين الطبيعي او العقل السليم؟

الجواب هو ان المزيّة الخاصّة بالنهى مزيّةُ الحكمة التي من شأنهـا ابراز الاحكام السديدة ؛ وما الحكم السديد الّا ذاك الذي يتوسّط الطريق دون الزيغ ، لا الى جانب الافراط ، ولا الى جانب التفريط. وعليه ، فاستنادًا الى مبادئ العقل الصوابيّة ، يمكننا ان نقدر الروح العصري ، روح الرقيّ المادي ،

بهذا الحكم وهو : مما لا يجوز نكرانه هو ان للفلاح المادي قيمةً حقيقية ، ذات مقام ممتاز في جملة الظواهر العمرانية . ألا ان هذه القيمة ليست مطلقة بل نسبية . ولذا فطالما سارت المادة وكمالاتها طبقاً لما وضع لها ربّ الكون من النواميس ، بقيت معتبرة ، ذات قدر سامٍ ؛ لانها ، بجريها هذا المجرى ، تتجه نحو الغاية المقصودة من وجودها ، وهي خدمة الألفة البشرية . وهذه القضيّة تزداد جلاء بنور حقيقة مقرّرة ، وهي حقيقة طبيعة الانسان ، المركّب من مادةٍ وروح.

فكما ان المرء مفتقر ، في مزاولة اعماله الروحية ، الى قوة ورفاه في بدنه ، بموجب المبدأ الفلسفي القائل : « العقل السليم ، في الجسم السليم » لزم ، بفعل هذا المبدأ عينه ، ان يتمّ هذا التقدم ، في المجتمع البشري ، ببعض الكمالات في الماديات ، وذلك مساعدةً لافراد البشر في اكتسابهم الخواصّ النفسية . وعلى هذا النمط تتدرّج الشعوب في ذا السبيل ، اي بتوسّع الماديات وبلوغها الى حدّ تستطيع معه القوى البشرية والهمم الاجتماعية ان تصل الى غايتها المتوخاة . مما ينجم عنه تقدم النظام الادبي ، وتفوّقه على النظام المادي ، مقدارَ تفوّق الروح على المادة . وعلى هذا متوقف الرقيّ الحقيقي ، والحضارة المثلى ، والروح العصري المرغوب فيه.

فاذا تقرر هذا قلنا : ان نحن اجلنا رائد التبصّر والتدقيق في عالم المحسوسات ، فلا مندوحة لنا من الاقرار بان سيرَ الماديات ، وتبسّطها في النجاح ، ان هو الّا مفعول من مفاعيل تسلّط الانسان ، يوماً بعد يوم ، على الطبيعة الهيوليّة . وهو ، والحق يقال ، تقدّم مقبول ، وعمران مفيد ، جاء ملائماً غاية الملاءمة حالة البشرية ؛ فهو اذاً من مطلبات الحياة . ألا ان الخطر كلّ الخطر في الذهاب الى ان كمال البشريّة قائم في هذا الرقيّ وحده . وذلك لان البون شاسع بين الرقيّين المادي والبشري ، الواجب ان يترقى اليه الانسان ، وان ينشأ عنه روح الافراد والجماعات ، او الروح العصري ، في كل آن ومكان . والسبب في هذا ان الترقي المادي هو خارجَ الانسان ، اي في الاشياء المحسوسة الملموسة التي تظهر فيها مظاهر قريحته الوقّادة . وامّا التقدّمُ البشري ، اي الرقي

في العقليات ، والادبيات ، والاجتماعيات ، فمجاله الانسان ذاته ، بكامل طبيعته ؛ والغاية منهُ اعلاء شأن البشرية عينها ، بصفتها البشرية . اجل انَّنا لأبعدُ القوم عن القول بوجود مناقضة بين العمران المادي ، والعمران الادبي . بل زدْ على ذلك اننا من الموقنين بان ارتفاعَ درجة الكمال في الماديات لدليلٌ ساطع على تكمُّل قوى الانسان وامتدادِ سلطانه في عالم البرايا ، على تضارب انواعها . الّا ان هذا لا يقيم الحجّة الراهنة على ضرورة اتحادهما ، وسيرهما كتفاً لكتف . اذ الخبرة تطلعنا على امكان وجود المرء في حال الانحطاط ادبيًا ، وهو ساعٍ ، لا بل ناجحٌ في ترقية احوال الماديات . وقد يُشاهد بعض الاحيان ، وفي وقت معاً — كما هو الامر واقع في مجتمعنا اليوم — الانسان متسلطاً على المادة ، من جهة ؛ والمادة مسيطرةً على الانسان ، من جهة اخرى. وسيد ان كمال المحسوسات ، مهما علا وسما ، فهو ادنى من ان يتوقف عليه فضلُ الانسان وقدرُه . ولإدراك هذه النظريات ، حقّ إدراكها ، من اللازم ان نرسخ في عقولنا هذه الحقيقة السامية : وهي ان البشر لم يخلقوا للمادّة ؛ انما المادة أُوجدت لأجلهم ، لا كغاية يقصدون اليها ، بل كوسيلة يستخدمونها في سبيل تقدمهم البشري ، الصادر عنهُ العمران والروح العصري الأمثل . اما اذا عمدنا الى استطلاع كنه الرقي الانساني ، فقد توجب علينا التقصي في كيان الحياة البشرية . ولمعرفة هذه الحياة ، ينبغي استبطان ماهيّة الانسان.

فما ادراك ما الانسان ؟

الانسان ، بموجب ما حدّده الفلاسفة القدماء ، هو حيوان ناطق . اجل ! الانسان حيوان ؛ بيد ان الحيوانيَّة مزيّة مشتركة بينه وبين ذوات الاربع . اما الصفة الخاصة التي تفرقه عن الخلائق الدنيا ، وتدلّ على حدّه ومقامه ، وسلطانه على الطبيعة ، فهي خاصة النطق . الانسان عُرَيلم يحوي في بدنه جميع كمالات الطبقات السفلى من البروءات ؛ وبعقله يتوقل ذرى الاعالي ، فيحلّ مقام الكائنات العاقلة ، او الارواح المجرّدة ، التي هي ارقى منه درجة ، في سلّم الوجود . الانسان كائن حيّ مركبٌ من مادّة وروح . فهو الاخير في فريق العاقلات ، وهو الاول في صنف المجسّمات ، ممّا انزله منزلة الصلة بين

العالَمَين : المادي والروحي . الانسان متصف بخاصّة الحريّة التي تجعل في وسعه ان يقبض ، بتوقد ذهنه ، على ناصية الحق قبضاً ؛ وان يعشق بلبّه الجمال عشقاً ، وان يهيم بارادته نحو الخير الاعظم هياماً. ألا انها ، لاعتسافها قد تهوي به من حالق. الى الاسافل ؛ فيتيه في بيداء الباطل ؛ ويُطلق لنفسه الامّارة عنان الهوى العاطل . حدِّث ولا حرج عن الجسم وما اجتمع فيه من البدائع والغرائب خلقة وقواماً . غير ان هذا كله لم يكن ليرفعه الى درجة اسمى جزء في الانسان ؛ اذ الانسان بجسمه هابط الى الارضيّات ، ميّال الى الماديّات ؛ وقد قوّى شدة ذاك الميل تأثيرات الضعف المتوارَث ؛ ممّا زاد في طينة انحطاطه بلّة.

فاذا كانت حياة الانسان وكمالاته ليست بقائمة في الجسد وحواسّه ، ظهر ان التقدّم الصادر عن الماديّات ، التي يطبّل ويزمّر بعلوّ قيمتها ارباب المبادئ المعوجّة ، واهل الروح العصري المنحرف . ليس ذا شرف وقدر مطلق في هذه الحياة البشرية ، اذ ليس فيه كمال الانسان بتمامه . ونجم ايضاً ان الرقي هذا ليس له من الرقي الحقيقي سوى الدرجة الدنيا . وشأن هذا الأمر في المجتمع كشأنه في الأفراد ؛ اي ان فلاح الجماعة وتبسّطها في الماديات لا يتزل الّا المنزلة السفلى من منازل عمرانها على وجه الاطلاق.

هذا ما يُثبته العقل السليم ، الخالي من الاوهام ، والخالص من عمل الأغراض والاهواء المنحرفة . هذا ما يتطلّبه الحق ، والعدل ، والنظام . اذ عليه قائمة القضية الاساسية ، التي لا يسوغ لامرئ نكرانها دون جحد حقيقة الحياة الانسانية ، والشرف البشري ، الحاتم على الفلاح المادي ان ينزل الى مقامه الطبيعي الذي انشأه له الخالق ، اي المقام الاخير بين مقامات العمران المقبول. فالدين الطبيعي اذن يعلّمنا ان كمال الافراد والجماعات في هذا العصر ، وفي كل عصر ، خليق ان يستند الى الكمالات النفسية والعقلية والادبية ؛ وان يستخدم المرء الكمال المادي آلة لا غاية . ومن ينبوع هذه الكمالات يتحتّم على اهل العصر ان يستمدوا الروح اللائق بان يسمى الروح العصري.

* * *

٢

الروح العصري

في حكم الدين المنزّل ، اي المسيحي

لقد كان للدين اعداء في كل زمان ومكان . وذلك لان الدين نور ، واهل الضلال ، كالبوم ، يحبّون الظلام ، لكلل في بصائرهم ، يقعدهم عن النظر الى النور والتشبّع به . ولذا يبغض الضالّون الدين . ولبغضهم له ، لا يألون جهداً في استخدام كل ضرب من السهام ليرشقوه بها ، حتى لا يبقى في قوسهم مقرع . ومن جملة سهام اعداء الدين ، في هذا العصر المادي ، هو افتراؤهم بان الدين والروح العصري على طرفي نقيض لان الدين ، على زعمهم ، قائم في اعلاء شأن الروحيّات ، والحطّ من قدر الماديّات ، التي سعى العصر فنجح بترقيتها . وان الدين يعظم النفوس ، ويذلّ الاجساد ، التي اتضح للعقل العصري ان الحياة واكرة فيها . ومن ثمّ فلا يرى الدين في الروح العصري سوى هلاك البشر ، وخراب العالم .

هذا البهتان هو سلاح خصوم الدين . اما نحن ، فباسم الدين العزيز ، نردّ هذا الكيد الى نحر اصحابه ، معلنين على رؤوس الأشهاد هذه الحقيقة الساطعة وهي : انّ الدين لقصيٌّ عن كُره التقدم والروح العصري قصاء الشرق عن الغرب . فهذا التاريخ ، فليستنبئوه ، يروا فيه خير شاهد على ان الدين كان ، ولا يزال ، اول واكبر نصير للعمران على اختلاف انواعه ودرجاته . فهو اذن من المحبّذين للترقي حتى ماديّه . والبرهان العقلي على صحة ذلك ، فضلاً عن النقلي ، هو ان الدين ، اذ كان حقاً وصلاحاً ، فهو عاجز كل العجز عن ان يرذل ما هو صالح بذاته ، وحقٌّ في مبادئه ، ومفيدٌ في نتائجه . والحال ان التقدّم المادي ، كما سبق التبيان ، ليس فيه من الشرّ شيء ، بمطلق القول . اذن ما ارفعَ الدين عن ان يناقض ذاته بذاته ، وما اجلّه عن كره التقدم ورذله .

صورة كُلفة شمسية
تظهر فيها النواة السوداء وأشعة الكرة المنيرة متَّجهة اليها

من المقرّرات التي نوّهنا بها في مطلع المقال ، ان الرقي المادي قد نضج بفضل العلوم والفنون الوضعية ، التي نجم عنها توسّع الصناعة المادية . والخلاصة من هذا كلّه هي انتصار العقل على المادة ، وتسلّط الانسان على الطبيعة ، واستخدامه اياها لمنافعه ، طبقاً للسلطان الذي خوّله اياه الباري في صدر البشرية ، اذ قال لأبوينا : « اثمروا ، واكثروا ، واملأوا الارض وأخضعوها ، تسلّطوا على طير السماء ، وسمك البحر ، وجميع الحيوان الدابّ على الارض.» فاذاً الانسان مَلك الطبيعة ، وهي خادمة قد وضعت لفائدته . والحال ان اوّل مطلبات الدين حضّ البشر ، لا بل إجبارهم على استغلال هذا الإنعام الالهي . فالشغل قد نشأ وظهرت منافعه ، مع نشوء الانسانية . الا انه تغيرت صفته دون تغيّر جوهره . فقد صدر الانسان من يد خالقه كامل الخواصّ ، فكان له الشغل ، اوان ذاك ، بمنزلة حقّ وسلطان ، يتصرّف به في المخلوقات . الّا انهُ لم يعتم ان عصا ربه ، فسقط عن عرش مجده ، وبسقوطه ، فقد تلك المزايا ، مزايا الصحة والبرارة . فاصبح العمل ، منذئذٍ ، شريعةً محتومة في حياته . في حالة البرارة ، كانت الطبيعة كالعبدة الذليلة بين يدي سيدها الانسان . اما في الحالة الساقطة ، فقد قامت رافعةً عليه لواء العصيان . في حالة البرارة ، كان المرء متمتّعاً بسلطانه ، براحة وطمأنينة ؛ واما في الحالة الساقطة ، فقد اضطرّ الى ان يدافع عنهُ بسلاح الشغل ، وتجشّم الاتعاب ، وتجرّع غصص الآلام . في حالة البرارة ، كانت الارض تنبت لهُ مختلف الاثمار اليانعة ، بوفرة وغزارة ؛ واما في الحالة الساقطة ، فلم تعد تخرج لهُ سوى القرطب ، والشوك ، والحسك . كل ذلك لان الارض لُعنت بسبب معصية آدم ؛ فلم يعد لهُ مندوحة لاستثمارها الا بشديد العناء ؛ كما جاء في الكتاب العزيز : « ملعونة الارض بسببك ؛ بمشقّة تأكل منها طول ايام حياتك ؛ وشوكاً وحسكاً تنبت لك ؛ وبعرق جبينك تأكل خبزك ، حتى تعود الى الارض التي أُخذت منها.»

هذا مصدر العمل البشري الناجم عنهُ التقدم المادي والروح العصري . على اننا من ايّ وجه لاحظناه ، فلا نرى الدين مناهضاً لهُ ؛ بل بخلاف ذلك ، نجد الدين مكرماً لهُ ، لكونه سلطاناً وحقاً ؛ وآمراً به لكونه واجباً محتوماً .

حتى ان اشدّ الرذائل مقتاً في عين الدين رذيلةُ البطالة . فانه يرى فيهـا أمّ الرذائـل ، ومنبع الشرور ، ومهواة للانسان في دركات الانحطاط ، وسبب الخراب في المجتمع . ولذا فالدين يلزم ابن آدم بالشغل طول حياته ، داعماً اياه الى ان يتهر ، بقوة عقلـه وحريته ، مقاومـة الطبيعة ، فيسترجع بذلك السلطان الذي خوّله اياه رب الكائنات . ومن هنـا يظهر جلياً حق الانسان وواجبه . فاذا كان هذا شأن الدين ، كيف يعقل انه يشجب الشغل ، وبذل السعي والاجتهاد ، هو العـارف والمثبت بان العمل منتجة للخصب ، ومجلبـة للرغد في المجتمع ، وعنوان حقّ الانسان وقوته على استخراج الخيرات المكنونة في قلب الطبيعة . اجل ! ليس من غاية الدين الخاصة تمكين الانسان من بسط سيادته على الكون بسطاً تماً وشاملاً. الّا انه عرض ان يشجب هذا الاستيلاء، نراه يحبّذ فوز البشر ، وانتصارهم على المـادة ، بل يستفزّ هممهم للتولّي على الارض تولية كبرى.

ولذا فيحقّ لدُعاة الدين ان يخاطبوا ، باسمه ، ابناء جلدتهم ، قائلين : الا يا معشر الانام . ها نحن اولاء نجاهر بانكم ارباب الارض وما فيهـا من المخلوقات ، لان الباري قد اوجدها لاجلكم . فسيروا في طريقكم سيرَ الفاتحين المدوّخين. أخضعوا الطبيعة مهما استطعتم الى ذلك سبيلاً . اشفعوا النصر بالنصر ، والقهر بالقهر . اشحذوا القرائح ، استنهضوا الهمـم ، شمّروا عن السواعد واسعوا متكاتفين ، متضامنين . اجثوا متقصّين في دواخل الكائنات اهتكوا اسرارها ؛ استطلعوا نواميسها ؛ اكتشفوا واخترعوا ، اقبضوا على زمام الماء ، والبخار ، والهواء ، والكهرباء . شقّوا عباب البحار ببواخركم . غوصوا في اعماق اللجج بغوّاصاتكم . اقطعوا المسافات الشاسعة بقطركم. انهبوا الارض نهباً بسياراتكم . حلقوا في الجوّ مزاحمين الطيور بطيّاراتكم. انيروا البيوت ، والقصور ، والمدن ، بنور كهربائكم . تفـاوضوا وتراسلوا ببرقياتكم ، ولاسلكياتكم . قصارى الكلام ، أوتوا كلّ عجيب ؛ أظهروا كلّ غريب ؛ مّما لم يحلم به اسلافكم ، ويعود بالطائلة الكبرى ، على اخلافكم . فلن تجدوا في الدين لا مستهجناً ، ولا مثبّطاً ، ولا معادياً ؛ بل بالعكس ، تروه

محبذاً ، ومشجعاً ، وناصراً . هذا هو اعلان الدين الذي يفتري عليه المفترون بانه مناهض للتقدم ، والرقي ، ومن ثمّ الروح العصري.

على ان الدين يرى ما لا يراه البشر ، لوقوفه على مظنّة الشرّ ، حيث يتوهم القوم وجود الخير . ولذا فبينا نسمع صوت الدين محرّضاً الناس على اتباع طريق الحقّ ، نسمعه في الوقت عينه ، يحذرهم مما يقوم في سيرهم من العقبات ، وما لعلهم يتدهورون فيه من الدركات . فهو القائل لهم : شجاعٍ ! شجاعٍ ! يضيف الى ذلك: حذارِ ! حذارِ ! هو الذي تراه من الجهة الواحدة ، مستحسناً ، مادحاً ، راضياً ؛ نجده ، من الجهة الاخرى ، مقبحاً ، قادحاً ، رافضاً . وان خيّل الى احد ان هناك مناقضة ، فليعلم انها ليست الا ظاهرية . لان الدين ، في القضيّة عينها ، يُقرّ شيئاً ، ويعارض في شيء آخر . يمدح الامر بذاته ، ويذمّ الافراط في استعماله ، او اتيانه من غير بابه. الدين يبيح لنا ان نكون من ابناء العصر ، وان نقتبس الروح العصري ، وان نسير نحو الترقي والتمدن العصري . لكنه يحذرنا من التقهقر والانحطاط في حالتنا البشرية ، اي حالة الآداب ، في المعيشة الفردية ، والمعيشة الاجتماعية . يوافق الدين على استيلاء الانسان على الطبيعة ، غير انه ، في الحين ذاته ، يشجب استيلاء الطبيعة على الانسان . يقبل الدين التقدم ، وان كان مادياً ، ويقدر مقامه وخطورته ، على انه لا يسعه الّا ان ينكر عليه الحقّ في قلب النظام الذي وضعه الخالق في طبيعة المخلوقات . صفوة القول ، ان الدين يرضى للمجتمع بالرقي المادي وسيلةً ، الّا انه يرفض ، رفضاً باتاً ، ان يكون للآلفة غايةً .

ولذا فيناشد خدمة الدين اخوانهم محذرين قائلين : الا يا قوم ، فاعلموا ان لكم السيادة ، وعلى المادّة الخدمة ، لانها أَمَة . فان رفعتم الأمة في دست السيّدة ، فايقنوا انكم لحقّ العقل لباخسون ، ومن قدر النفس لحاطّون ، وتاج الشرف الانساني لمهينون ؛ فتضحون سوقة وعبيداً ، بعد ان كنتم اشرافاً وسادة . على كلٍّ ، ان كان هذا التقدم تقدمكم ، وهذا الروح روح عصركم ، فاعرفوا ان الدين الذي كان بالامس ، وهو اليوم وغداً ، يرذلكم ويرذل عمرانكم ؛ يخذلكم ويخذل روح عصركم ، لكونه مخالفاً

لاحكام العقل السليم ، ومضرًا بالمصالح الانسانية . اذ حاشا للدين ان يرضى بتقويض اركان النظام في الأئمة الاجتماعية ، اي بتقديم الماديات ، على الروحيات ، وتفضيل الاجسام على الارواح ؛ وجعل الرذيلة في مقام الفضيلة ، وتسليط الشر على الخير . فأدركوا يا ناس انكم ملوك وعبيد معاً : ملوكٌ على الماديات ، وعبيدٌ في خدمة رب العباد . فحافظوا على سلطانكم ، وقوموا باعباء عبوديتكم ؛ اجروا حقوقكم على الطبيعة ، وادّوا ما لله من الحقوق عليكم وعلى الطبيعة . واذكروا قول مؤسس الدين الالهي ، الملخصة فيه كل هذه المبادئ ، وهو : « اطلبوا اولًا ملكوت الله ، وهذا كله يُزاد لكم . »

هذا هو حكم الدين ! هذه هي الفلسفة المسيحية ، في شأن مقام الماديات في الحضارة . وهذا نظرها في كيفية تكوّن الروح العصري المقبول . وعليه يمكننا ان نلخص هذا المقال ، فنقول : ان الانسان مخلوق مركب من مادة وروح ، اي من جسد ونفس ؛ وهو كائن حي . ومن شأن الحيّ ان ينمو ويرقى ؛ فالانسان اذن نامٍ وراقٍ ، ومن ثمّ فمتقدم ، ومتمدن . الّا ان العقل والدين يقضيان بان تجري الصنائع مجرى الطبائع . ومن طبيعة المرء ان يمتاز بالجزء الاشرف فيه ، وهو النفس المدركة ، المريدة ، الحرّة . واما الجسم وما يتعلّق به ، فليس له سوى المقام الادنى . ولهذا فيليق بابناء البشر في هذا العصر ، وفي كل عصر ، ان يسيروا في سبيل تقدّمهم على هذا النمط ، اي بالترقّي البشري ، وهو الترقي العقلي والادبي ، المتخذ وسيلةً للحصول عليه ، الرقيُّ المادّي . ومن هذا الينبوع الصافي ، ينبغي لاهل هذا العصر ان يستمدّوا روحهم العصري . فان كان هذا الروح سائدًا في حياتهم الفردية ، والاجتماعية ، كان الدين نصيرهم ، والنجاح والفلاح حليفهم ، في كلا الدارين ، والسلام .